الأخلاق في فكر الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام وأثرها في التعايش السلمي

الاستاذ المساعد الدكتور عباس مصطفى مقدم (الكاتب المسؤول)
abasi1234@gmail.com
طالب الماجستير الشيخ محمود اسود عبدالله
KrKrASKUT@GMAIL.COM
جمهورية إيران الإسلامية ـ جامعة كاشان ـ كلية الآداب ـ واللغات الاجنبية ـ فرع علوم القران والحديث

" Ethics in the thought of Imam Ali bin Muhammad a Hadi (upon them the prayers of God) And its impact on peaceful coexistence "

Asst. Prof. Dr. Abbas Mustafa Mokaddam (Responsible author)
Master student " Al-Sheikh Mahmoud Aswad Abdullah"
Islamic Republic of Iran - Kashan University - Faculty of Arts - Foreign Languages - Branch of Quran and Hadith Sciences

الملخص:

إيمان الأمة بالله سبحانه وتعالى يقتضي الالتزام بما امر به وترك ما نهى عنه عز وجل، فقد امر سبحانه بحفظ النفس وعدم انتهاك حرمتها، ونهي عن الاخلاق السيئة، بما يحقق مجتمعاً تسوده الالفة والمحبة بين افراده.

ان الدين هو الأخلاق فمهمة الانبياء عليهم صلوات الله، تزكية النفس وتعليم الناس الحكمة، وحسن الخلق له تأثير ايجابي في السلم المجتمعي، إذا لا يمكن للمجتمع ان يعيش في العنف وعدم التسامح حيث الكراهية والبغضاء.

وقد وردت نصوص في فضائل الاخلاق وقد تناقلتها الكتب بعد ان وضع النبي واهل بيته عليهم صلوات الرحمن جمعيا الاسس والانظمة والقوانين وكانوا بسلسلة متواصلة غير منقطعة في انقاذ الامة وارشادهم الى طريق الصواب ولعل خير دليل على ذلك هو ما نقلناه من روايات صادرة عن الامام الهادي عليه السلام وهي كثير بل أكثر.

والاخلاق تارة اخلاق محمودة كالعدل والصدق والامانة وحسن الظن، واخرى تكون مذمومة كالحقد والبغض وسوء الظن ولظلم.

ان سلامة المجتمع من الانحرافات الأخلاقية، كونها آفة تنخر جسد الامة، فبدونها تكون الالفة والمحبة والتراحم بين الناس، وهذا اساس من اسس التعايش السلمي.

الكلمات المفتاحية: حسن الخلق، الامام علي الهادي عليه السلام، المجتمع، الظن، الحلم، العبادة، الغضب، النصيحة.

Abstract:-

The faith of the nation in God Almighty requires commitment to what is commanded by him and to leave what the Almighty forbade him. He has commanded to preserve not to violate its sanctity, and to forbid bad ethics , in order to achieve a community of affection and love among its members.

Religion is ethics , The mission of the Prophets (upon them the prayers of God) is purification of the self and teaching people wisdom , good character has a positive impact on community peace, if society can't live in violence and intolerance, where hatred and hatred.

There were texts in the virtues of ethics and were transmitted by the books after the Prophet and the people of his house(upon them the prayers of God) laid the foundations and regulations and laws and they were in a continuous chain unbroken in saving the nation and guiding them to the right path. The best proof of this is what we quoted from the narrations of Imam al-Hadi (upon him the prayers of God) and they are many but more.

Ethics is sometimes a virtuous morality, such as justice, honesty, honesty, good faith, and others, such as hatred, hatred, mistrust and injustice.

The integrity of society is one of moral perversions, a scourge of the body of the nation. Without it, love, compassion and compassion are among the people. This is the foundation of peaceful coexistence.

Key words: Good manners, Imam Ali al-Hadi (upon him the prayers of God), society, suspicion, dream, worship, anger, advice.

المقدمة:

من الركائز الأساسية في حياة الإنسان الأخلاق، وحسن الخلق هو الدين، وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تحدثت عن الأخلاق وتزكية النفس والحكمة، سواء كان ذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الجمعة: ٢، فتعليم الحكمة والتزكية مهمة الأنبياء والقادة المصلحين في المجتمع، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ الحجرات: ١٢، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات: ١١، كما أن السنة الشريفة اكدت على حسن الخلق، وأثره الإيجابي في السلم الاجتماعي، إن استقامة الإخلاق ضمانه في استقرار المجتمع، إذا لا يمكن للمجتمع أن يعيش في العنف وعدم التسامح، حيث الكراهية والبغضاء، وحيث ان أهل البيت عليهم السلام هم القدوة والأسوة في حسن الخلق، فقد اتخذت من الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، انموذجا فيما ورد عنه من نصوص،وبيان اثرها في النظام الإجتماعي، ورتبت البحث من مقدمة ومبحثين:

الأول: وقفت على سيرة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، لما لها من الأهمية في حياة الأنسان، حيث معرفة علمه، وكرمه، وزهده، وعبادته، وكيفية استقدامه إلى سامراء، واولاده، والوقوف عند وفاته، كما لم أنسى أن اعرض شذرات من اقواله وحكمته.

الثاني: فهو في معرفة القيم الأخلاقية، واثرها من خلال الوقوف على الأخلاق المذمومة واثرها، والأخلاق الفاضلة واثرها بمطلبين.

وفي ختام البحث أهم النتائج، وثم ذكر المصادر والمراجع

المبحث الأول

سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام

وهو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام وهو الإمام العاشر من أئمة ألمسلمين الذين اجتباهم ربهم سبحانه وتعالى لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم قادة العبادة وحفظة الرسالة المتقدم لهم زاهق والمتأخر عنهم مارق وهم ساسة البلادة.

ولد عليه السلام في بصريا، في النصف من ذي الحجة سنة (٢١٢هـ)، وروي في رجب سنة (٢١٤هـ)[١]، أمه أم ولد يقال لها سمانة الغربية، المعروفة بأم الفضل[٢].

لقب الإمام عليه السلام بعدة ألقاب وهي تدلل على عظيم شخصيته، فهو كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، أملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت عليه هيبة الوقار، وإذا تكلم سيماء البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة كالناصح، والمتوكل، والفتاح، والنقي، والمرتضى، والهادي، والنجيب والعالم، وأبو الحسن الثالث، والهادي وهو أشهرها[٣].

المطلب الأول

فضائله ومظاهر شخصيته

ذكر المؤرخون وأصحاب السير، فضائل عديدة له عليه السلام ومن هذه الفضائل:

أولاً: علمه

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]، أشارت هذه الآية المباركة، إلى الطريق الأول في تحصيل العلوم، وهو العلم المكتسب الذي يحصل عن طريق الحواس، وذكرت الآية المباركة السمع والبصر كونها الأهم في تحصيل العلوم الكسبية، ولتحصيل العلوم طريق ثاني، وهو العلم اللدني الذي لا يمكن تحصيله من خلال الألفاظ والمفاهيم، لأنه نحو خاص من العلم، خارج عن دائرة الإدراك الذهني الحصولي، وعند التأمل في روايات أهل البيت عليهم السلام، أن علمهم علم لدني،

يتحقق بواسطة، وهي روح القدس[٥]، فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[٦].

قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده[٧]، والإمام علي الهادي عليه السلام، خلف إرثا علمياً واسعاً في الأمة، وهذا ما لمسناه من تراثه العلمي، في العقائد والفقه والأخلاق، ومواجهته البدع الضالة، ومن أثاره العلمية، أن أعد مجموعة صالحة قادرة على حفظ معالم الدين، فهو من أهل بيت زقوا العلم زقا.

ثانياً: كرمه

وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام، وهم عمرو بن عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الحمداني، فشكا إليه احمد بن إسحاق دينا عليه، فالتفت عليه السلام إلى وكيله عمرو، وقال له: ((ادفع له ثلاثين ألف دينار، والى جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ))[٨].

ثالثاً: زهده

ومن مظاهر شخصيته عليه السلام، الزهد كما هو ديدن آبائه الطاهرين عليهم السلام، الذين زهدوا بهذه الدنيا ولم يلتفتوا الى زخرفها وزبرجها، ومن مظاهر زهده عليه السلام، فأنه لا يملك شيء في داره عندما كان في سامراء، وكانت عليه جبة صوف وقلنسوة وسجادة على حصير بين يديه فلم أشك أنه كان يصلي، كما روى سعيد الحاجب عند مداهمته بيت الإمام عليه السلام في سامراء[٩].

رابعاً: عمله

كان الإمام عليه السلام يعمل ويحث عليه فهو من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرض له، وقد استنقعت قدماه في العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟

فقال: ((يا علي عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه.

فقلت له: من هو؟

فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين))[١٠].

خامساً: عبادته

إن الغاية التي خلق من أجلها هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١١]، وهذه العبادة هي تحرر الإنسان من كل ما هو سوى الله سبحانه، فعبادته سبحانه من أجل أن يتخلص الإنسان من الأغلال والقيود، ومن ثم حقيقة العبودية لله أن يكون الإنسان حرا عن كل ما سواه، وأن لا يتعلق بشيء غيره، حيث يكون قريباً من الله، وهو قرب معنوي، بمعنى أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تعالى، بصفاته وأفعاله، وقد ورد في الحديث: ((تخلقوا بأخلاق الله))[١٢].

فثم أخلاق لله سبحانه على الإنسان أن يتخلق بها علما وعملا[١٣]، ومن اصدق وأقرب إلى الله في عبادته، وهو من بيوت أذن الله أن يرفع فيه اسمه، فقد روي أنه عليه السلام، كان يقرأ في الركعة الأولى من نافلة المغرب سورة الجحد، وفي الثانية سورة الإخلاص وفيما عداه اختار[١٤].

سادسا: استقدامه إلى سامراء

كان عبد الله بن محمد يتولى الحرب والصلاة في مدينة رسول صلى الله عليه وآله، فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل، والقصد إيذاؤه[١٥]، ووجه الحكم العباسي المتوكل، هرثمة بن يحيى إلى المدينة لإحضاره إلى سامراء، وقد ضجة الناس عند سماعهم خبر توجه الإمام عليه السلام إلى سامراء مكرها[١٦]، وعند وصوله عليه السلام، حجبه المتوكل في يومه، وأنزله في خان الصعاليك، ومن ثم أمر بإفراد دار له[١٧].

عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم وروده فقلت له: جعلت فداك في كل الأمور أراد إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك فقال: ((ها هنا أنت يا أبن سعيد، ثم أومأ بيده فإذا بروضات أنفات وأنهار جاريات، وجنات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر تعجبي.

فقال لي: حيث كنا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك))[١٨].

ثامناً: أولاده

له عليه السلام أربعة أولاد من الذكور وبنت واحدة والذكور هم: محمد، والأمام الحسن العسكري عليه السلام وجعفر المعروف بالتواب أو الكذاب، والحسين[١٩]، وبنت واحدة اسمها عليّة[٢٠].

تاسعاً: وفاته

اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم، في يوم وفاته عليه السلام، ومن دس إليه السم، واتفقوا على أن وفاته كانت في سنة، أربع وخمسين ومائتين، وأنه عليه السلام قبض في رجب، سنة أربع وخمسين ومائتين، وله من العمر إحدى وأربعون سنة وستة أشهر[٢١].

وأنه استشهد ولي الله علي بن محمد عليه السلام في آخر ملك المعتز، وتابعه الإربلي في كشف الغمة[٢٢]، وفي البحار انه عليه السلام، قبض بسر من رأى الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وقيل يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة نصف النهار، وله يومئذ أربعون سنة، وقيل أحد وأربعون وسبعة أشهر[٢٣]، وروى المسعودي، أن وفاته كانت يوم الاثنين، لأربع بقين من جماد الآخرة، سنة أربع وخمسين ومائتين، وهو ابن أربعين سنة، وقيل ابن اثنتين وأربعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وسمع في جنازته جارية تقول: (ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا)[٢٤].

ولكن المشهور الذي عليه عمل الشيعة هو اليوم الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين[٢٥] والاختلاف في عمره الشريف، هو الاختلاف في سنة ولادته عليه السلام كما أسلفنا في تأريخ ولادته.

المطلب الثاني

شذرات من أقواله وحكمته

روى الحسن بن محمد في تحف العقول، مجموعة من أقواله منها:

قال: ((إن لله بقاعا يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والخير منها)).

وعنه: ((من أمن مكر الله وأليم أخذه، تكبر حتى يحل به قضاؤه، ونافذ أمره، ومن كان علي بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر)).

وقوله: ((الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن النعم متاع، والشكر نعم وعقبى)).

وقال: ((إن الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا)).

وقال: ((إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمة بحمله، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه)).

وعنه: ((من جمع لك وده ورأيه فأجمع له طاعتك)).

وأيضا عنه: ((من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره))[٢٦].

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية وأثرها في السلم المجتمعي

روي أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من بين يديه.

فقال: يا رسول الله ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه عن يمينه فقال: ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه من قبل شماله، فقال: ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه من ورائه، فقال: ما الدين؟

فالتفت إليه، وقال: أما تفقه الدين هو أن لا تغضب))[٢٧].

أن الأخلاق المذمومة كالظلم والجبن وسوء الظن والعجلة والافراط والتفريط والتكبر، وغيرها هي إطفاء لنور القلب وإغلاق لأبواب الرحمة الإلهية، وهي بلا شك تؤدي الى الشحناء والبغضاء بين افراد الإنسان، مما يؤدي الى ارتفاع الأمن بين الناس، وحلول الفوضى محله، وهي آفة السلم المجتمعي .

وأما اضدادها من فضائل الأخلاق كالعدل والشجاعة وحسن الظن والأناة والإعتدال والتواضع، هي السفينة التي ينتقل بها الإنسان من تلاطم أمواج الفتن وافواج المحن الى دار الرضا والبهجة والسرور وإبصار طرق السداد والحق واليقين، ونتيجتها أن تسود التآلف والتقارب بين افراد المجتمع.

وبما أن الإنسان بفطرته يسعى لتحقيق أسمى غاية فُطر عليها فنجده يجتهد للوصول بالنفس إلى أعلى درجات السعادة الأبدية ولكن بالغفلة التي اثمرت الإبتعاد عن فضائل الأخلاق والتقرب إلى الرذائل المؤدية إلى الهلاك السرمدي نرى النفس قد اصبحت رهن الاضطراب وفقدان الآمال جزاءً بما عملت هو مصداق قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢٨]، وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢٩].

وهذا هو موضوع مطالب هذا المبحث حيث سنشير إلى جمل من أمراض القلوب وكيفيّة القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الأمراض، وغرضنا هو النظر الكلّي في تهذيب الأخلاق وتمهيد مناهجها وفق الروايات الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام سائلين الله أن يوفقنا لذلك.

المطلب الأول

الأخلاق المذمومة وأثرها

إن هذا المطلب يتضمن عدة من العناوين تندرج تحت مسمى الأخلاق المذمومة وأثرها، والغرض منه معرفة رأي الإمام الهادي عليه السلام فيها وما أثرها وموقفه عليه السلام منها:

الغضب: والغضب هو قوة محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب، وانتشاره في العروق، وارتفاعه إلى أعالي البدن كما يرتفع الماء وهو يغلي في القدر وعرف ايضاً بانه كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل الى الخارج لاجل الغلبة ومبدؤه الانتقام واذا

اشتد يوجب حركة عنيفة يمتلىء بها الدماغ والاعصاب من الدخان المظلم فيستر نور العقل ويضعف فعله ولذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنصيحة بل تزيده غلظة وشدة، وضده الرضا[٣٠]، أما درجاته فتكون على ثلاث صور وهي:

أولاً: الافراط ونعني به ان يخرج الانسان عن طاعة العقل والشرع فلا يبقى له فكرة وبصيرة وهذا الغضب هو نزعة من الجنون.

ثانياً: التفريط وهو أن يفقد الإنسان القوة او تضعف بحيث لا يغضب لما ينبغي الغضب له شرعاً وعقلاً وهذا هو الجبن بعينه.

ثالثاً: الاعتدال وهو ان يصدر غضبه فيما ينبغي فقط بحيث يجعل سياسة العقل والدين هما الحاكمين فمن هنا تتحقق الشجاعة[٣١].

وبذلك قال الإمام عليه السلام: ((الغضب على من لم تملك عجز، وعلى من تملك لؤم))[٣٢].

أما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن الغير[٣٣].

وقد جاء في ذمه بمقدار خارج عن حد الحصر، وكفاك في ذمه أن جميع ما وقع من الذنوب والفساد في الأرض من أول الدهر إلى آخره، كان من الحسد لما حسد إبليس آدم، فصار أمره إلى أن طرده الله ولعنه، وأعدله عذاب جهنم خالدا فيها، وتسلط بعد ذلك على بني آدم، وجرى فيهم مجرى الدم والروح في أبدانهم، وصار سبب الفساد على الآباء، وهو أول خطيئة وقعت بعد خلق آدم، وهو الذي أوجب قتل ابن آدم أخاه[٣٤].

كما حكاه الله تعالى عنهما في كتابه الكريم وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشيطان والساحر، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٣٥].

وفيه قال الإمام الهادي عليه السلام: ((إياك والحسد فإنه يبين فيك، ولا يبين في عدوك))[٣٦].

وقد جاء في سوء الظن إنه تارة يكون بالنفس، وقد يكون سوء الظن بالآخرين، كما قد يكون بالله، وبهذا التقسيم وعلى منواله يكون حسن الظن أيضاً، أما سوء الظن بالنفس إذا لم يبلغ درجة الإفراط فهو سلم إلى التكامل ويدفع الإنسان إلى التدقيق في أعماله والإخلاص فيها، ويكون حاجزاً عن العجب والغرور منه عند قيامه بالأعمال الصالحة[٣٧].

وفي روي عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن محمد بن هارون الجلاب قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ((إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لاحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه))[٣٨].

وقال عليه السلام: ((إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن تظن بأحد سوءاً حتى تعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يبدو ذلك منه))[٣٩].

أما العتاب والحقد فهما العداوة الكامنة، أي إرادة الشر وقصد زوال الخير من المسلم، وهما أيضا من ثمرات الغضب ومنها العداوة الظاهرة، وضدها النصيحة أي إرادة الخير والصلاح ودفع الشر والفساد عن كل مسلم، ثم للغضب والحقد لوازم هي الضرب والفحش واللعن والطعن[٤٠].

وفيها جاء عن الإمام الهادي عليه السلام: ((العتاب مفتاح التقالي[٤١]، والعتاب خير من الحقد))[٤٢].

وكذلك جاء في الجزع بإن مقام العجز وهو مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا مالا يفعله إلا أقل الناس عقلاً وديناً ومروءة وهو أعظم المصيبتين[٤٣]، وقد روي عن الإمام علي الهادي عليه السلام: ((المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان))[٤٤].

هذا إنموذج من فيض كثير تحدث عنه أهل الحل والعقد والتنظير في مفاسد الأخلاق ومذمومها من أثر وعلاج وقد سبقهم إليها أهل بيت العصمه جميعاً وكان من بينهم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.

فإن الذي عرضناه هو إنموذجاً منه في بداية هذا المطلب وغيرها كالسفه الذي قال عليه السلام فيه: ((إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه))[٤٥].

ومن كان أسير النفس واللسان الذي قال عليه السلام بحقه: ((راكب الحرون[٤٦] أسير نفسه، والجاهل لسانه))[٤٧].

والحرص الذي ذكره عليه السلام بما سلب من نعمة قائلاً: ((ما استراح ذو الحرص))[٤٨].

وجاء أيضاً في مجالسة أهل المعاصي عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن محمد، عن الجعفري[٤٩]، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ((مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟

فقال: إنه خالي.

فقال: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركتنا وإما جلست معنا وتركته؟

فقلت: هو يقول ما شاء أي شيء علي منه إذا لم أقل ما يقول؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه[٥٠] حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً فاتي موسى عليه السلام الخبر.

فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع))[٥١].

المطلب الثاني

الأخلاق الفاضلة وأثرها

إن هذا المطلب يتضمن عدة من العناوين تندرج تحت مسمى الأخلاق الفاضلة وأثرها، والغرض منه معرفة رأي الإمام الهادي عليه السلام فيها وما أثرها وموقفه عليه السلام منها.

في السهر والجوع فقد جاء إن للجوع فوائد وهي صفاء القلب ورقته، واتقاد الذهن وحدته، والالتذاذ بالمناجاة والطاعة، والابتهاج بالذكر والعبادة، وكسر شهوات المعاصي المستولية بالشبع، دفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام التهجد، والتمكن من الإيثار والتصديق بالزائد، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والإعداد، وصحة البدن ودفع الأمراض إذ المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء.

وأضداد هذه الفوائد من المفاسد يترتب على الشبع ثم علاج الشره بالأكل والشرب:

أن يتذكر الأخبار الواردة في ذمه، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات، ويتأمل في المفاسد المترتبة على الولوع به من الذلة، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة، وفتور الفطنة، وظهور البلادة، وحدوث العلل والأمراض الكثيرة، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط في الأكل والنوم ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة[٥٢].

وللوقف على ما ذكر عن كثب نسمع قوله عليه السلام في موعظة لبعض أصحابه: ((السهر ألذ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام يحثه على قيام الليل، وصيام النهار))[٥٣].

أما الحلم وما ادراك ما الحلم فقد جاء بحقه: هو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكن سبعية، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة[٥٤]؛ لأنها طمأنينة النفس، بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا يزعجه المكروه بسرعة، فهو الضد الحقيقي للغضب، لأنه المانع من حدوثه وبعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه ويدفعه، فمن هذه الحيثية يكون كظم الغيظ أيضا ضدا له.

فنحن نشير إلى فضيلة الحلم وشرافته فهو أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، بل لا ينفع العلم بدونه أصلاً، ولذا كلما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به[٥٥].

وبهذا روي عن الغلابي إنه قال: وسألته أي الإمام الهادي عليه السلام: عن الحلم؟

فقال عليه السلام: ((هو ان تملك نفسك وتكظم غيظك، ولا يكون ذلك إلا مع القدرة))[٥٦].

أما النصيحة وقبولها فقد جاء بحقها: أن عماد الدين وقوامه النصيحة وإن النصح لله هو الايمان به ونفي الشرك عنه وترك الالحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه تعالى عن جميع أنواع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معاصيه والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه ومعادات من عصاه وغير ذلك مما يجب له تعالى.

وجميع هذه الأشياء راجعة إلى العبد من نصيحة نفسه، والله تعالى غني عن نصح الناصح، ويمكن أن يكون النصح لكتابة والايمان به لأنه كلامه تعالى وتحليل ما حلله وتحريم ما حرمه والاهتداء بما فيه والتدبر لمعانيه والقيام بحقوق تلاوته والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بزواجره والمعرفة له.

أو النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله: أي تصديقه بما جاء به واتباعه فيما أمر به ونهى عنه وتعظيم حقه وتوقيره حياً وميتاً، ومحبة من أمر بمحبته من آله وصحبه ومعرفة سنته والعمل بها ونشرها، أو النصيحة للأئمة عليهم السلام إعانتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم لحوائج العباد ونصحهم في الرفق والعدل، أو تكون النصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم وكف الأذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك(٥٧).

فبذلك جاءت رواية أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عباس الجوهري، ورواية عبد الله بن جعفر الحميري رضي الله عنه، من مسائل أيوب بن نوح، إن علي بن محمد الهادي عليه السلام كتب إلى بعض أصحابنا: ((عاتب فلاناً، وقل له إن الله إذا أراد بعبد خيرا إذا عوتب قبل))(٥٨).

وغيرها كثير مما ورد من فضائل الأخلاق وقد تناقلتها الكتب بعد أن وضع النبي وأهل بيته عليهم صلوات الرحمن جميعاً الأسس والأنظمة والقوانين وكانوا بسلسلة متواصلة غير منقطعة في انقاذ الأمة وارشادهم إلى طريق الصواب ولعل خير دليل على ذلك هو ما نقلناه من روايات صادرة عن الإمام الهادي عليه السلام، وهي كثير بل أكثر من أن تدركها رسالة حدد لها عدد صفحات.

فهذه الروايات لم تنتهي إلى حد معين فكان من بينها كلامه في حسن التدبر حيث قال عليه السلام: ((من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يعطى))(٥٩).

وقال عليه السلام في شكر النعمة: ((الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لان النعم متاع والشكر نعم وعقبى))(٦٠).

وجاء عنه عليه السلام في المجالسة والمصاحبة: ((لو سلك الناس وادياً وسيعا لسلكت وادى رجل عبد الله وحده مخلصاً))(٦١).

وقال عليه السلام أيضاً: ((من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك))(٦٢).

نتائج البحث

١. إيمان الأمة بالله سبحانه، يقتضي الالتزام بما أمر به سبحانه وترك ما نهى عنه سبحانه، فقد أمر سبحانه بحفظ النفس وعدم انتهاك حرمتها، ونهى عن الأخلاق السيئة، بما يحقق مجتمعا تسوده الألفة والمحبة بين أفراده.

٢. أن الأخلاق الحسنة، بها تحل المكاسب والمعاملات، بمعنى سلامة الاقتصاد وعدم تبديد ثروات الأمة، بسرقة ومعاملات ربوية ورشوة، وهذا يؤدي إلى قدرة اقتصادية تغني الأمة، من التبعات الخارجية التي بشكل أو بآخر تشكل عبئا عليها، مما يجعل السلم المجتمعي مهددا بالانهيار.

٣. إن الأخلاق الحسنة، تحفظ كرامة الإنسان، بغض النظر عن لونه وقوميته ودينه ومذهبه، إلا ما شذ ويمثل خطرا على المجتمع، لضمان سلامته كما في الفكر التكفيري الإرهابي.

٤. سلامة المجتمع من الانحرافات الأخلاقية، كونها آفة من آفات تنخر جسد الأمة، فبدونها تكون الألفة والمحبة والتراحم بين الناس، وهذا أساس من أساس التعايش السلمي.

٥. ان حسن الخلق، كالأمانة، والعدل بين الناس، في ادارة المجتمع، يؤدي إلى استقرار المجتمع سياسيا، وبه تأمن البلاد من التدخلات الخارجية وتهديداتها، ومن الحروب الخارجية والأهلية.

٦. ان حسن الخلق مصدر، استقرار الفرد المسلم بما هو فرد روحيا، وبهذا يكون متفاعلا مع مجتمعه وقريبا منه.

هوامش البحث

(١) الكافي، الكليني: ج١/ ص٥٦٨؛ الإرشاد، المفيد: ص٣٢٤؛ كشف الغمة، الإربلي: ج٣/ ص١٢١.
(٢) الإرشاد: ص٣٢٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ج٥٠/ ٢٩٦.
(٣) كشف الغمة: ج٣ / ص١٢١؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ج٣/ ص٥٠٤.
(٤) سورة النحل ١٦: ٧٨.
(٥) علم الإمام تقريرات سيد كمال الحيدري، علي حمود: ص٢١٨.
(٦) سورة الشورى ٤٢: ٥٢.
(٧) الكافي: ج١/ ص٣٠١، ح١.
(٨) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ج١٢/ ص٢٧.
(٩) الكافي: ج١/ ص٥٧٠.
(١٠) من لايحضره الفقيه، الصدوق: ج٣ / ص٧٤، باب ٥٨.
(١١) سورة الذاريات ٥١: ٥٦.
(١٢) بحار الأنوار: ج٥٨/ ص٣٩١، باب ٤٣.
(١٣) بحث حول الإمامة، كسار: ص٧٣.
(١٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٦/ ص٦٤، باب١٤.
(١٥) الإرشاد: ص٣٣١.
(١٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ج٤/ ص٤٢٢.
(١٧) الإرشاد: ص٣٣٢.
(١٨) الإرشاد: ص٣٣٢.
(١٩) أعلام الهداية: ج١٣/ ص٧٤.
(٢٠) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد، القزويني: ص١٣٦.
(٢١) الكافي: ج١/ ص٥٦٨ ؛ الإرشاد: ص٣٣٢؛ كشف الغمة: ج٣/ ص١٣٨.
(٢٢) إعلام الورى بأعلام الهدى: ج٢/ ص١١٠؛ كشف الغمة: ج٣/ ص١٣٨.
(٢٣) بحار الأنوار: ج٥٠/ ص٢٩٦.
(٢٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٤/ ص٤٢٢.
(٢٥) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد: ص٥١٥ .
(٢٦) تحف العقول، ابن شعبة: ص٤٨٣.
(٢٧) تنبية الخواطر ونزهة النواظر، الاشتري: ص٩٧؛ بحار الأنوار: ج٦٨/ ص٣٩٣.
(٢٨) سورة الزلزلة ٩٩: ٧-٨.
(٢٩) سورة فصلت ٤١: ٤٦.

(٣٠) ينظر، إحياء علوم الدين، الغزالي: ج٩/ ص٩٣.
(٣١) ينظر، جامع السعادات: ج١/ ص٢٥٦.
(٣٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤١، ح٢٢.
(٣٣) جامع السعادات: ج١/ ص٧٣.
(٣٤) ينظر، منية المريد، الشهيد الثاني: ص٣٢٣.
(٣٥) سورة الفلق ١١٣: ٣-٥.
(٣٦) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤٢، ح٢٧.
(٣٧) الأمثل في تفسر كتاب الله المنزل: ج١٦/ ص٤٣٦.
(٣٨) الكافي: ج٥/ ص٢٩٨، ح٢.
(٣٩) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤٢، ح٢٨.
(٤٠) ينظر، جامع السعادات: ج١/ ص٨٤.
(٤١) التقالي: أي التباغض. ينظر، الصحاح: ج٦/ ص٢٤٦٦، مادة قلا.
(٤٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٣٩، ح١٢.
(٤٣) ينظر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن الجوزي: ص٩١.
(٤٤) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤٠، ح١٥.
(٤٥) تحف العقول: ص٤٨٣.
(٤٦) الحرون: أي الذي لا ينقاد من الخيل. ينظر، الصحاح: ج٥/ ص٢٠٩٧، مادة حرن.
(٤٧) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٣٩، ح٩.
(٤٨) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤١، ح٢١.
(٤٩) هو أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب ثقة، ويقال: إنه لقى الرضا إلى آخر الأئمة عليهم السلام. ينظر، الرجال، البرقي: ص٦٠؛ رجال الطوسي: ص٣٥٧، وص٣٧٥، وص٣٨٦؛ معالم العلماء: ص٨٣.
(٥٠) المراغمة: أي الهجران والتباعد والمغاضبة، أي يبالغ في ذكر ما يبطل مذهبه ويذكر ما يغضبه. ينظر، الصحاح: ج٥/ ص١٩٣٤، مادة رغم.
(٥١) الكافي: ج٢/ ص٣٧٤، ح٢.
(٥٢) ينظر، جامع السعادات: ج٢/ ص٦.
(٥٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤١، ح١٨.
(٥٤) الألفين: العلامة الحلي: ص١٧٣.
(٥٥) ينظر، جامع السعادات: ج١/ ص٢٦٣.
(٥٦) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٣٨، ح٥.

(٥٧) ينظر، سبل السلام، الصنعاني: ج٤/ ص٢١١.
(٥٨) مستطرفات السرائر، ابن ادريس: ص٥٨١.
(٥٩) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٤٢، ح٢٥.
(٦٠) تحف العقول: ص٤٨٣؛ بحار الأنوار: ج٧٨/ ص٣٦٥، ح١.
(٦١) عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي: ص٢١٩.
(٦٢) تحف العقول: ص٤٨٣.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت٤١٣هـ-١٠٢٢م)، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ-١١١١م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤١١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣. آداب النفس، السيد محمد العيناثي العاملي من أعلام القرن الحادي عشر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٤. الأمثل في تفسر كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٦هـ، بيروت، لبنان.

٥. الألفين، العلامة الحلي الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن المطهر الحلي(ت٧٢٦هـ-١٣٢٥م)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مكتبة الألفين، الكويت.

٦. اعلام الهداية، تأليف وطباعة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ، قم، إيران.

٧. الإمام علي الهادي من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٣م، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨. .بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ-١٦٩٩م)، تحقيق محمد الباقر البهبودي وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٩. تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من اعلام القرن الرابع، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١٠. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي(ت١٢٠٩هـ-١٧٩٤م)، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، العراق.

١١. .سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني(ت١١٨٢هـ-١٧٦٨م)، تحقيق الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

١٢. عدّة الداعي ونجاح الساعي، جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي(ت٨٤١هـ-١٤٣٧م)، تصحيح وتعليق أحمد الموحدي القمّيّ، نشر مكتبة وجداني، قم، ايران.

١٣. .علم الإمام تقريرات السيد كمال الحيدري، على حمود العبادي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٢هـ، دار فرقد للطباعة والنشر، قم، إيران.

١٤. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ-٩٤٠م)، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، سنة١٣٦٣هـ، المطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.

١٥. كشف الغمة في معرفة الائمة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت٦٩٣هـ-١٢٩٣م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

١٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ-٩٥٧م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش- ١٩٨٤م، منشورات دار الهجرة، قم، إيران.

١٧. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي الصدوق(ت٣٨١هـ-٩٩١م)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١٨. .مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ-١١٩٢م)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، النجف الأشرف، العراق.

١٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ-١٦٩٢م)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم، إيران.

٢٠. .نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن الحلواني من أعلام القرن الخامس، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ، قم، إيران.